

كتاب الشهر

بحثٌ يوثّق، تجربة فريدة في الأغنية اللبنانية

الأخوان رحباني عبقرية أنجبت وطن الأملام

كثيرة هي الابحاث التي صدرت عن الاخوين رحباني و فيروز محاولة استقراء هذه التجربة المغيرة في مسار الاغنية اللبنانية وتوثيقها، حفظا لذاكرة شعب وصونا لما تركته في وجدانه الجمعي. الا ان الباحث والكاتب هاشم قاسم يضيف حجرا مهما الى هذه العمارة بكتابه "الظاهرة الرحبانية - مسيرة ونهضة"

"شكل الرحبانيان بصوت فيروز مدماما رئيسا في بناء الشخصية الوطنية اللبنانية على مستوى الاغنية والنص. وفي حين كانت الصراعات السياسية والطائفية تقض مضاجع لبنان، كان الرحبانيان يؤسسان على المستوى الفني وطنية انشد اليها اللبنانيون كحلم مبتغى (...). الخطاب الفني الرحباني بتجلياته والوانه المختلفة حاول تجاوز الوعي المأزوم من خلال ملء الفراغات والشروخ في الشخصية الوطنية اللبنانية".

لعل هذا التعريف الذي ابدع به هاشم قاسم، يجمع عليه جل الباحثين الذين اكبوا على دراسة الظاهرة الرحبانية، وهو يحاكي ايضا احساسيس الناس العاديين الذين ربما لا يملكون ملكة التعبير بالكلمات عما يشعرون به لدى سماع فيروز. بعد دراسات واصدارات كثيرة تمحصت في تركة الاخوين رحباني وفيروز، ها هو هاشم قاسم يضيف حجرا الى هذه العمارة بكتابه المهم والمرجعي "الظاهرة الرحبانية - مسيرة ونهضة" الصادر حديثا عن "مكتبة بيسان".

الباحث والناقد اللبناني يفتح لنا عالم الرحابنة الشاسع والمتعدد، مستقرنا هذه التجربة المجددة بجوانبها المختلفة، مدعومة بالمراجع الهائلة في هذا العمل. الى جانب ذلك، سيمتتع القارئ نظره بصور نادرة للبيت الاول في انطلياس، وزفاف فيروز، ومحطات جمعت الثلاثي مع وجوه اساسية في نهضة الاغنية والفن والموسيقى العربية على رأسهم زكي ناصيف وفيلمون وهبي ومحمد عبد الوهاب وفريد الاطرش ونجيب حنكش وام كلثوم ورياض السنباطي.

"الرحبانيان والاذاعة اللبنانية"، "الرحبانيان والموسيقى"، "الرحبانيان وفيروز في دمشق"، "الرحبانيان ومهرجانات بعلبك الدولية"،

العائلة الى "المنبيح" في ظهور الشوير، حيث الطبيعة والمناخ الجبلي وروح التأمل والاقتراب من عالم الحيوان والفطرية، ستسلل الى نتاج عاصي ومنصور لاحقا. يستشهد المؤلف بما قاله منصور عن تلك المرحلة: "في المنبيح، المناخ الجبلي زودنا شيئا من العنفوان ظهر منه الكثير في اعمالنا وخاصة الاعمال ذات الصبغة التاريخية والملحمية". يضيف المؤلف هنا انه في هذه البلدة ايضا، تعرّف الاخوان الى ملامح شخصيات سبع ومخول التي عرفها جمهور الخمسينات والستينات في لبنان وسوريا من خلال اذاعات الشرق الادنى ولبنان واذاعة دمشق. كما ان الرحبانيين خالطا عمال المقالع والريعيان والفلاحين، واكتسبا لغتهم ومفرداتهم التي تسربت الى اعمالهما الاولى، خاصة الاسكتشات الاذاعية. عليه، يخلص الى ان البيئة الاولى ادت الى ولادة "درامية شعبية عفوية مبسطة ومعجم لغوي عامي الطابع، استعمله الرحبانيان" في اعمالهما لاحقا.

عام 1944، توفي حنا رحباني، فوجد الاخوان نفسيهما مضطرين الى العمل لاعالة العائلة. كان عاصي قبل ذلك قد دخل سلك شرطة بلدية انطلياس، ثم التحق منصور ببوليس مدينة بيروت. الا ان الابعاء المعيشية والوظيفية لم تثنهما عن جبهما الاول، بل اكبا على التعمق في التراث والفولكلور اللبناني. في ذلك الوقت، كانت الاذاعة اللبنانية التي تأسست عام 1938 ما زالت تحت سيطرة الاغنية المصرية. وهذا ما ادى ببعض الفنانين اللبنانيين الى رفع الصوت احتجاجا على رأسهم "فنان الشعب" عمر الزعني (1895 - 1961) الذي اسس الاغنية الانتقادية في لبنان.

في تلك المرحلة ايضا، برز جيل من الفنانين والموسيقين اللبنانيين الذي انتجوا بعض الاغنيات الشعبية، من بينهم نقولا المنني ويحيى المبايدي ومترى المر وسامي الصيداوي والاخوان فليفل ووديع صبرا وفيلمون وهبي وتوفيق الباشا... في هذا المناخ، تولى ميشال

خياط تقديم الاخوين رحباني الى لجنة متخصصة للاستماع الى اعمالهما في الاذاعة من بينها "سمراء مها"، و"يا ساحر العينين"، و"زورق الحب لنا". وكان مدير الاذاعة فؤاد قاسم من المهتمين بالاغنية اللبنانية، فوظف عاصي عازف كمان وملحن اركان (الركن مجموعة من اربع اغنيات). هنا، انطلقت اغنيات الرحابنة بعدما اصدر قاسم قرارا بمنح الاغنيات التي تزيد عن خمس دقائق.

يقول منصور عن تلك المرحلة انه انفتحت امامهما استديوهات الشرق الادنى في قبرص و"كان ذلك حوالي سنة 1953، وصار صوتنا يصل الى اوسع عدد من المستمعين العرب". بذلك، دارت عجلة التحديث والتجديد التي رفعها الاخوان، فانتجا خلال اربعة عقود نحو 5 الاف اغنية، و400 اسكتش غنائي، وثلاثة افلام طويلة، وعشرات البرامج والحلقات التلفزيونية والاذاعية، و25 مسرحية. بقدر ما كانت بيروت حجر الاساس في المشروع الرحباني، كانت دمشق حاملة هذا اللواء وداعمة له، بل انها تشكل الولادة الحقيقية للثلاثي عاصي ومنصور وفيروز (تزوجت عاصي عام 1955). من اذاعة دمشق يوم كانت تحت ادارة احمد عسه في الخمسينات، توالى سلسلة اعمال بصوت فيروز ابرزها "الحصاد" و"السلاح" و"يا قطعة من كبدي" و"نحن والقمر جيران"... وواظبت الاذاعة على بث اغنيات فيروز بشكل واسع ومركز، واحيت فيروز حفلات افتتاح "معرض دمشق الدولي" بدءا من عام 1962، خصوصا مع الحفاوة الشعبية التي لقيتها بين شرائح الشباب السوري.

في الشام ايضا قدمت فيروز اول لقاء غنائي في نادي الضباط عام 1957. تلك السنة كانت مفصلية بالنسبة الى الاخوين رحباني وفيروز، اذ شهدت ايضا اعتلاءهما الاول خشبة "مهرجانات بعلبك الدولية". يومها، استحدث قسم "الليالي اللبنانية" في المهرجان الذي كانت تطغى عليه النكهة الفنية الغربية. عليه، تولى الرحابنة تقديم برنامج فولكلوري بعنوان "ايام الحصاد"، وقدمت فيروز اغانيه رغم استهجان اللجنة المنظمة وارتياها. لكن النتيجة كانت مبهرة، ما عزز ازدياد حضور الفنانين اللبنانيين في الدورات التالية من المهرجان.



غلاف الكتاب.

”**الاخوان رحباني شكّلا الهوية والوجدان في الذاكرة اللبنانية**“

في موازاة هذا العمل على ترسيخ هوية فنية لبنانية، تعاقد "تلفزيون لبنان والمشرق" (تأسس عام 1962) مع الاخوين رحباني لتقديم اوبريت "حكاية الاسوارة"، قبل ان تتوالى سلسلة الاعمال التي نفذها للتلفزيون وشكلت فيروز مؤديتها الاولى من بينها "دفاتر الليل" و"ليالي السعد" و"ضيعة الاغاني" و"القدس في البال"... في كل ما قدموه، كانت القرية ركنا اساسيا وحضورا متوهجا في اعمالهم. تقول الباحثة والناقدة خالدة سعيد ان الرحبانيين "بصوت فيروز وادائها حاولا تحقيق الرؤية الرومانسية في القرية اللبنانية حيث يسود العدل والتناغم والوحدة، وحيث الخير يهزم الشر في نهاية المطاف".

وبقدر ما حضر الوطن بتجلياته المختلفة

متبلورا بالتدريج في اعمالهما، احتضن صوت فيروز آمال العرب ومعاناة الشعب الفلسطيني باغانيتها مثل "زهرة المدائن" و"سرجع يوما" و"القدس العتيقة"، حتى ان شاعر فلسطين الاول محمود درويش قال ان الرحبانيين قدما فنيا "لفلسطين ما لم يقدمه الفلسطينيون انفسهم. لقد اشهر الفلسطيني هويته الجمالية بالاغنية الرحبانية العربية، حتى صارت هي اطار قلوبنا المرجعي، هي الوطن المستعادة وحافظ السير على طريق القوافل".

تجديد الرحبانيين لم ينحصر بالموسيقى والاغنية العربية، بل انسحب ايضا على الشعر العامي. تعاونوا مع اهم شعراء عصرهم ونهلا من الجواهر النفيسة للشعر العربي مثل قصائد الاخطل الصغير والياس ابو شبكة وسعيد عقل... هذه الثورة التي اعلنها الاخوان وفيروز وصلت اصداؤها الى مصر المعتزة بسطوتها الفنية على بقاع العالم العربي. هناك، تلقى الرحبانيان عددا من عروض التلحين والتأليف لفيروز على رأسهم محمد عبد الوهاب، لكنهما رفضا ذلك خوفا من انجراف فيروز في الموجة الفنية اسوة بنور الهدى وصباح.

الملفت في كتاب هاشم قاسم انه يتوسع في محطات ومسرحيات واعمال واسماء مفصلية في مسيرة الاخوين وفيروز، فيمر على وديع الصافي ونصري شمس الدين والياس رحباني وفيلمون وهبي وصبري الشريف وصولا الى زياد، مفندا التعاون الذي جمعهم بالمشروع الرحباني. كما يتوقف عند مسرحيات اساسية في المسيرة الرحبانية مثل "بياع الخواتم" (1964) و"ايام فخر الدين" (1966) و"هالة والملك" (1967) و"جبال الصوان" (1969) و"ناطورة المفاتيح" (1972)، مستقرنا تيماتنا ومواضيعها، ومحلا المادة الموسيقية والغنائية فيها، ما يقدم للقارئ زوادة معرفية عميقة في فهم وتشرب الاعمال الرحبانية بأسلوب يبعد عن المهتم شبح الضجر والملل الذي قد يسود بعض الاعمال التحليلية الجافة.

كتاب هاشم قاسم اضافة نوعية الى المكتبة اللبنانية، خصوصا وانه يتعلق بركن اساسي شكل الهوية والوجدان في الذاكرة اللبنانية.

صار فيك تدفع بالبطاقة المصرفية بكل مراكز الأمن العام

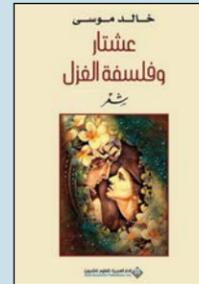
الآن أصبح بإمكانك تسديد مدفوعاتك في مراكز الأمن العام كافة بواسطة بطاقتك المصرفية الصادرة عن أي مصرف في لبنان والعالم، أكانت فيزا أو ماستركارد. وتهدف هذه الخدمة الجديدة والمميزة الناتجة عن تعاون ما بين بنك لبنان والمهجر والمديرية العامة للأمن العام إلى تحسين الأمن وتطوير الإدارة.



بنك لبنان
والمهجر
راحة البال

واجهت المكتبات

■ صحيح ان مهدي منصور يعتبر من ابرز الاصوات الشعرية في لبنان والعالم العربي، بعدما اصدر ثماني مجموعات شعرية وحاز جائزة برنامج "المميزون" عام 2003، ثم جائزة برنامج "امير الشعراء" عام 2008 وغيرهما من الجوائز. الا ان هذا الشاعر الشاب عرف شهرة اضافية حين غنى قصائده الشيخ احمد حويلي فنالت حفاوة جماهيرية كبيرة. يعود مهدي منصور اليوم بديوان جديد يحمل عنوان "فهرس الانتظار" ("شركة المطبوعات للتوزيع والنشر"). لا تفترق هذه المجموعة عن الاسلوب والنفس الشعري الذي يميز منصور الصوفي الهوى. قصائد في الحب وانتظار المعشوق، ورصد لحظات يعيشها العشاق ضمن صور شعرية لمحة وطازجة.



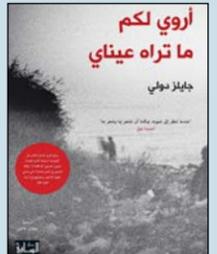
■ تتصدر غلاف كتاب "اروي لكم ما تراه عيناى" ("دار الساقى") ملاحظة تفيد بان مبيعات هذا الكتاب يعود ريعها الى المفوضية السامية للامم المتحدة لشؤون اللاجئين. صاحب الكتاب هو المصور جايلز دولي الذي طلبت منه المفوضية في تشرين الاول 2015 توثيق ازمة اللاجئين. هكذا امضى سبعة اشهر متنقلا بين اربعة عشر بلدا يروي قصص عائلات واشخاص هربوا من اوطانهم التي ابتلعتها نيران الحرب. وثق اضطرابات لبنان، ومخيمات الاردن والعراق، والمشاهد الجهنمية على سواحل ليسبوس ووصول اللاجئين الى المانيا. خلاصة هذه الرحلة كتابه "اروي لكم ما تراه عيناى" الذي يجمع 150 صورة، ويلتقط في "خضم الربح والمأساة مكنم الدعابة والادهاش، وقبل اي شيء اخر مكنم الانسانية".



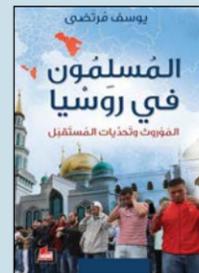
■ بعدما رصدت لحظات وتفصيل يومية معيشية في حياة المرأة المعاصرة في روايتها "النوم الابيض" (2015)، تذهب جنى نصر الله هذه المرة الى المشكلات السياسية والطبقية والطائفية في المجتمع اللبناني. روايتها "رحيل المدن" ("دار رياض الريس") تحكي عن بيروت وحلب وسري لانكا وكوبا وديني وباريس، وكل مدينة وبقعة تشهد رحيل مستمرا من ابنائها، او دمرت الحرب والنزاعات المسلحة معالمها. تأتي الحرب لتشكّل خلفية للاحداث التي تروي قصة أم هاجر ابناءؤها الاربعة خلال الحرب، وما زالت تنتظر عودتهم في زمن السلم. الا ان هذا الانتظار سيطول، ولن يتحقق لم الشمل الا في ظرف قسري.



■ في عز الحرب الاهلية، اضطرت هدى بركات كغيرها من اللبنانيين الى ان ترحل عن وطنها الى باريس. غادرت على وجه السرعة بحقيبة صغيرة وولديها الاثني. هناك صنعت حياة اخرى، او هكذا قد يهيا. الا ان كل معظم اعمالها الادبية اللاحقة ستعود بها الى هنا، الى بيروت. روايات ترجمت الى لغات عدة، واولست صاحبها الى اللاحة القصيرة لجائزة "مان بوكر انترناشونال برايز 2015" التي تمنح عن مجمل اعمال الكاتب او الكاتبة مرة كل سنتين. الكاتبة التي تعتبر الاكثر غزارة بين نظيراتها، تعود هذه السنة برواية جديدة. بعدما اصدرت لها "دار الاداب" روايات "ملكوت هذه الارض" و"اهل الهوى" و"حارث المياه" و"سيدي وحببي" و"حجر الضحك"، ها هي تقدم لنا "بريد الليل". الرواية تجمع حكايات "اصحاب الرسائل التي كتبها وضاعت مثلهم في البحر. لكنها تستدعي رسائل اخرى، تتقاطع مثل مصائر هؤلاء الغرباء. هم المهاجرون، او المهجرون، او المنفيون المشردون، يتامى بلدانهم التي كسرتها الايام، فاحالت حيواتهم الى لعبة بازل".



■ منذ اعتداءات 11 ايلول 2001، اجتاحت العالم الغربي ظاهرة الاسلاموفوبيا وتعاطمت مع بروز منظمات ارهابية دموية على رأسها "داعش" و"النصرة" التي نفذت عمليات ارهابية في عواصم غربية عدة. هكذا، صار المواطن المسلم يعني حكما انه ارهابي في عيون الغرب. انطلاقا من هذا الواقع، قرر الباحث يوسف مرتضى الاضاء على واقع المسلمين في روسيا، خصوصا وانهم يمثلون الجالية الكبرى في اوربا، والغرب عموما. كتابه "المسلمون في روسيا" يطرح اسئلة عدة ابرزها: هل سوريا ستكون مثابة غروزي ام افغانستان بالنسبة الى روسيا؟ ما هو حجم التدايعات على علاقات روسيا في المستقبل مع العالم الاسلامي؟ هل ثمة مخاوف على مستقبل العلاقات داخل الشعب الروسي الواحد بين المسلمين وغير المسلمين؟ ملفات متشعبة ومعقدة يجيب عنها الباحث والاعلامي الذي يشغل ايضا وظيفة منسق الاعلام في "جمعية الصداقة اللبنانية الروسية".



■ في عز الحرب الاهلية، اضطرت هدى بركات كغيرها من اللبنانيين الى ان ترحل عن وطنها الى باريس. غادرت على وجه السرعة بحقيبة صغيرة وولديها الاثني. هناك صنعت حياة اخرى، او هكذا قد يهيا. الا ان كل معظم اعمالها الادبية اللاحقة ستعود بها الى هنا، الى بيروت. روايات ترجمت الى لغات عدة، واولست صاحبها الى اللاحة القصيرة لجائزة "مان بوكر انترناشونال برايز 2015" التي تمنح عن مجمل اعمال الكاتب او الكاتبة مرة كل سنتين. الكاتبة التي تعتبر الاكثر غزارة بين نظيراتها، تعود هذه السنة برواية جديدة. بعدما اصدرت لها "دار الاداب" روايات "ملكوت هذه الارض" و"اهل الهوى" و"حارث المياه" و"سيدي وحببي" و"حجر الضحك"، ها هي تقدم لنا "بريد الليل". الرواية تجمع حكايات "اصحاب الرسائل التي كتبها وضاعت مثلهم في البحر. لكنها تستدعي رسائل اخرى، تتقاطع مثل مصائر هؤلاء الغرباء. هم المهاجرون، او المهجرون، او المنفيون المشردون، يتامى بلدانهم التي كسرتها الايام، فاحالت حيواتهم الى لعبة بازل".

